

## طريقة صنع الزوجات والأمهات

عند تركيا جارتنا القريبة

كان جماعة من المتوقرين يأخذون على النهضة التركية الحديثة إغراقها في تقليد المجتمع الأوربي ، وإهمالها لكل ما أثر عن المجتمع الشرق من تحفظ واستمسك بالتقاليد . وكانت هذه الجماعة تغلو قترعم أن كل ما أثمرته النهضة من قوة وعزة وتقدم ورق لا يكاد يوازي ما حطمته من التقاليد الاجتماعية ، وما أزالته من قواعد المجتمع الشرق .

فالآن يبدو أن هذه دعوى مبالغ فيها ، أو أن عقلاء الأمة التركية قد أخذوا يفقهون من نشوة النصر وينبهون لقفوة التيار التي تجرفهم بعنف . ومن يقرأ الخبر التالي الذي ورد بأحدى برقيات الأهرام ، لا يشك لحظة في حقيقة هذا الذي نقول :

” جاء من أنقرة أن وزارة المعاف أصدرت أمرا يقضى بأن تلتزم التلميذات والمدربات جانب الاعتدال في ملابسهن فيستغنين عن مظاهر البذخ والترف لأسباب منها أولا : قلة المواد الخامة التي تصنع منها الملابس ؛ وثانيا : تجنب انصرافهن عن مواصلة التعلم ... وفي جملة ما حرم عليهن لبس الجوارب الحريرية والأحذية ذات الكعوب العالية ، وكذلك من تجميل وجوههن بالأصباغ وتمويج شعرهن “

هؤلاء التلميذات اللواتي حظرت عليهن هذه المظاهر دن زوجات المستقبل وأمهاته ، وأولئك المدرسات اللواتي منعن من البذخ والتبرج هن صانعات أولئك الزوجات والأمهات . والمدارس التي تضم هؤلاء وأولئك هي المصانع التي تخرج ربوات البيوت وأمهات الجيل . فحسنا تصنع جارتنا القريبة في طريقة صنعهن على هذا المنوال !

ولقد شهدت السنوات العشر الأخيرة في مصر انقلابا عجيبا في مظاهر التلميذات والبنات المصريات على وجه الخصوص . ذلك أن السيدات المتزوجات وحدثن كن قبل هذه السنوات العشر يستبحن لأنفسهن استخدام ”التواليت“ للتجميل ؛ وكان الفرق بين السيدة والآكسة أن الثانية تبدو بوجه طبيعي وأظافر كذلك ، فإذا بهذه السنوات الأخيرة تزيل الفوارق بين السيدات والأوانس ، بخميهن مطلبات الوجوه والشفاة ، مددونات الأظافر طولياتها وبعض أوانس من يسمونهن ”الطبقات الراقية“ ظلمن للرق ! يدخن كذلك ويباح هن من السهر والأختلاط ما كان منذ قليل وقفا على السيدات !

وهذه فوضى لا مثيل لها في كثير من البلاد الأوربية نعمها حتى الآن ، هي فوضى القروذ حين تقلد ، فما يزيد نحن في شيء — ولا سيما المرأة المصرية — على أن تتبع

طريقة القردة في التقليد ! ومصيبتنا العظمى هي في "الطبقات الراقية" فقد بات هذا الاسم مرادفا لقولك: "الطبقات المستهترّة". فكل من أرادت أن تكون اليوم "راقية" وجدت الطريق مهددا سهلا ، وما عليها إلا أن تستهتر فتدسج في هذه الأوساط .

لقد أعجبتني كلمة قالتها إحدى الراقصات : إن هناك مظاهر وأعمالا تصنعها الراقصة ! فيقال عنها : "أرئت" فإذا صنعتها أخرى من بعض الأوساط قيل عنها : "بنت ذوات". وهذه المظاهر : هي التدخين وتناول المشروبات الروحية والتبذل في الحفلات الساهرة والاستهتار بكل قيود المجتمع والأخلاق !

في مصر "كوليرا" استهتار ! وباء يجتاح اليوم جميع الحواجز ، وهو يهب أولا من ناحية "بنات الذوات" ثم يصيب الطبقة الوسطى - وهي عماد المجتمع في كل شعب - وينحدر إلى الأوساط الفقيرة في عنف كالإعصار !

والأمة في شبه دوار لا تكاد تنبه إلى هذه "الكوليرا" الواثية. والدولة زائفة البصر لا تكاد تبين قوة العاصفة ، والمجتمع في أثناء ذلك تنهار أركانه كالبحر في تخمرها المياه المتسربة ثم يحرفها التيار .

ولم يكن يلد لنا - مع ذلك - إلا أن نوجه القيد البليد إلى النهضة التركية لخروجها على التقاليد . فيها هي ذى النهضة التركية تفيق قبلنا ، وقد جنت ثمرات النهوض ، بينما كنا نحن في شبه دوار كالنعمورين الذين لا يرون الشخوص إلا أشباحا وخيالات . فهل لنا أن نصحو من هذا الخمار وأن نفيق من ذلك الدوار لنصنع فقط ما صننته جارتنا القريبة في مصانع الزوجات والأمهات ؟ !

إن البيت المصري ينهار رويدا رويدا ، بل ينهار في عنف وقسوة ، في تيار المدنية الكاذبة ، في تيار الحفلات الساهرة والمظاهر المستهترّة . ينهار على رينز الكثوس في "البار الأمريكاني" داخل البيوت "والجرسنيرات" وعلى الدخان المتصاعد في لفائف التبغ بين الشفاه المصبوغة والأظافر الطويلة المدهونة . وما وراء ذلك كله من أشياء !! إن الأسرة المصرية تنهار لأن المرأة المصرية خرجت من "الحريم" خلف "الشيخ" إلى أضواء الليالي الحمراء دفعة واحدة بلا تدرج ، مستجيبة لأصوات طائشة ظلت تدعوها باسم المدنية واسم الحرية واسم "باريس" و"هوليوود" ! ؛ وأصوات سفسطائية ظنت تدعوها باسم حق المرأة في المساواة المطلقة بالرجال !

والفريق الأول لا تستحق دعواه المناقشة . أما الفريق الثاني فلا ندرى كيف نفهمه أن المساواة ينبغي أن تصرف إلى أداء واجبات الجنس كامله في المجتمع ؛ وأن وظيفة المرأة في تكوين البيت الصالح والأسرة السليمة لا تقل شرفا إن لم تزد على وظيفة الرجل

في العمل والإنتاج ؛ وأن انصراف المرأة عن واجبها الأول لا يجوز إلا تحت تأثير عوامل قاهرة وظروف استثنائية عامة أو خاصة ، كحالة الحروب ، وحالة نقص الأيدي العاملة من الرجال ، وحالة فقدان العائل وضرورة الارتزاق .

لا ندري كيف نستطيع أن نفهمهم هذه البدييات ، وهم يحسبون أنفسهم رواد العصر الحديث بهذه الدعوة السفسطائية ، ويخشون أن يفقدوا لقب " الرواد " إذا اعتدلوا في الدعوة ، وآمنوا بمنطق الواقع في المجتمع المصري خاصة . ذلك المجتمع الذي يتعطل عن العمل نصف المتعلمين فيه وكثيرون من غير المتعلمين لضيق مجال العمل على الشبان !

" في مصر أزمة سيدات " و " في مصر أزمة أمهات " هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها ، ولا تجدى في دفعها المؤتمرات النسوية والخطب الزانة عن حقوق المرأة . فصر لا تطلب اليوم خطيبات ومحاميات وموظفات في المكاتب والدواوين . إنما تريد أمهات صالحات يقفن تيار الانحلال ، ويصنعن الجيل الجديد صنعا متقنا ، وبينين البيوت المصرية على أساس متين ؛ وبذلك يؤدبن الواجب المقدس الذي تفرضه عليهن النهضة المصرية ، والذي تفرضه كذلك وظيفة الجنس الطبيعية .

" ومصانع " الزوجات والأمهات هي المدارس ؛ فإذا أعددنا لهذا المصنع حتى يخرج زوجات وأمهات صالحات ؟ لقد زودناه بنفس الأدوات التي تزود بها مدارس البنين ، وأتبنا فيه نفس الطرائق التي نصنع بها البنين ؛ ولما كنا لا نستطيع أن نغير ما صنعته الطبيعة تغييرا تاما ، فقد اكتفينا بتشويبه ، فأخرجنا متعلمات ، لاهن فتيات ولاهن فتيان كالأغربة تحجل ثم لا تطير أو تسير !

ولقد علقت المقطم على برقية الأهرام التي أوردناها في صدر هذا الكلام فقالت :  
" فهذا الذي بلأت إليه تركيا يعد من عزم الأمور . وقد أحسنوا إذ بدأوا به في معاهد البنات ، فالشعوب الشرقية بحاجة إلى أمهات صالحات لا إلى نساء طائشات متبذلات . فانك قد تسمع عن امرأة مرتب زوجها لا يكاد يبلغ أربعين جنيتها تشتري فستانا بمشرة جنيات ! فهذا هو السفه الذي من نتائجه الهرمان في المستقبل وسوء تربية الأولاد والتعرض للإهالك . فليذهب مثل تركيا في الادخار بين جميع الشعوب الشرقية فما أحوجنا جميعا الى مثل هذه الأمثال " .

ونحن ننظر إلى المسألة من وجهة أعم من التوفير والادخار ، ونطالب بمثلها لا للتلميذات والمدرسات فحسب ، بل لجميع الفتيات والسيدات ، لعل فيها بعض التقويم والترميم لهذا المجتمع الذي يتحمل كل يوم وينهار .